

## «مركز الرسول (ص) في مدينة يثرب ودوره في تأسيس الدولة العربية الإسلامية الأولى»

السيد رياض هاشم هادي  
جامعة الموصل /مركز الدراسات التركية

يمكن اعتبار يوم ٢٤ - ايلول - ٦٢٢م هو تاريخ نشأة الدولة العربية الإسلامية الأولى، حيث أكتملت فيه الأسس الضرورية لقيام الدولة من سلطة سياسية متمثلة بقيادة الرسول (ص) وشعب مؤلف من الأوس والخزرج مسلمين وغير مسلمين والمهاجرين واليهود وأقليم محدد بحدود مسدنة يثرب (٢) .

وقد كان من نتائج الهجرة الى مدينة يثرب ان حدثت متغيرات جديدة في الطرفين الزماني والمكاني، على العكس من مكة، اذ اصبح المسلمون ، هم القوة الأساسية الناعلة واصبحت المدينة قاعدتهم وبيدهم قيادتها، يتمتعون بقدر كبير من الحرية ويمسكون بزمام الأمور، وكان على القوى الأخرى ان تكيف وضعها وفقاً للآطار الجديد. وهذه المتغيرات فرضت على عملية بناء الأداة التي مورست في مكة ان تنحو منحى آخر يرتبط مع الخط العام الذي أرسى في مكة ، غير انه يمتاز عليه في آفاقه الجديدة ، فالأداة التسي

(١) الملايح : هاشم يحيى : نشأة دولة المدينة في يثرب (مجلة الجامعة ، العدد ١١ السنة الثانية ، ١٩٧٢ ، موصل) ص ٥٩ .

Gardet; Louis: Mohammed anism. Newyork, 1961, P22

(2) Hell; J. The Arab Civilization, Cambridge, 1925, P 20

ركز الرسول (ص) على بنائها في مكة والتي قوامها «الإنسان النموذج» أصبحت في يثرب «المجتمع النموذج» وأصبح على النماذج التي تم تكوينها في مكة أن تكيف نفسها مع شروط بناء الجماعة وأن تقوم بعملية البناء الجديد في آن واحد (١).

وفي ضوء ما تقدم يمكن أن نتساءل هنا: ماهو مركز الرسول (ص) وأتباعه عندما هاجر من مكة إلى المدينة واتخذها مقراً لدعوته ؟

هل كان موقعه في مدينة يثرب عندما هاجر إليها واستقر بها كسلاجيء ؟ أم كحليف نزل في حماية أحد زعمائها طالبا منه الحماية له ولأتباعه الضعفاء بعد أن صمم رجال الملأ في مكة على الفتك به وبأتباعه ؟

أم انه دخلها نبياً رسولاً يقود المؤمنين به وبدعوته ، ومصرراً على تحقيق أهدافه العقيدية والسياسية بعد ان أصبح ذلك عسيراً عليه في مكة ؟

فلو افترضنا انه خرج من مكة فاراً خائفاً من نقمة قريش عليه، ودخل مدينة يثرب لاجئاً أو حليفاً في حماية احد زعمائها، أو حتى في حماية المؤمنين به وبدعوته من «الأوس والخزرج» لكان موقعه فيها لا يتجاوز الحليف، والحليف أقل مرتبة: من ابن الفيلة المنحدر من الجد الأعلى للقبيلة حيث ان العربي يعتقد بتخلره من جد واحد وبوحدة النسب بين أفراد قبيلته (٢). وسيترتب على ذلك عدم ممارسة الرسول (ص) لأي نشاط «سياسي أو ديني» داخل المدينة وخارجها، ثم أن أتباعه سيكونون تبعاً لذلك أقل مكانة منه ، وبالتالي سيعاملون معاملة الحلفاء، وإذا ما وجد خلفاءهم منهم ضرراً عمسوا إلى انهاء حلفهم وإخراجهم من المدينة متى شاعوا .

- 
- (١) الحديثي : نزار عبد اللطيف : محاضرات في التاريخ العربي ، د/ط ، ص ٩٦ .  
(٢) العسلي : خالد صالح : نظام المؤاخاة في عهد الرسول (مجلة دراسات لاجيال جامعة بغداد، العددان ٤-٥ ، ١ ، ١٩٨٣) ص ٢٧ .

ولكن من الملاحظ على طبيعة تحركات الرسول (ص) في المدينة بعسجد هجرته إليها، انه لم يكن مركزه فيها كلاجيء ولا كحليف، ولم يكن اتباعه من المهاجرين بالخلفاء .

من المعلوم ان الرسول (ص) هاجر الى مدينة يثرب بناء على دعوة مسن اهلها المؤمنين به وبدعوة التوحيد من زعماء الأوس والخزرج والذين كانوا يشكلون مركز قوة سياسية فيها امثال: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعبادة ابن الصامت (رض) (١) وغيرهم من زعماء يثرب البارزين. ثم انهم تعهدوا بأن ينصروه ويدافعوا عنه مادام في المدينة وقد ذكر ابن هشام حواره مع وفد المبايعين من الأوس والخزرج يوم العتبة الثانية «ابايكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم» (٢) اجابه البراء بن معمر (رض) « نعمم وانادي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله ، (\*) فنحن والله أبناء الحروب، اهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر» (٣).

ويشير هذا النص على ان المبايعين تعهدوا بالدفاع عن الرسول (ص) والقتال في سبيل دعوته وحمايته من أي اعتداء خارجي يقع عليه طالما هو داخل حادود المدينة .

وكان في المحيط المجيد عدد كبير من المؤمنين به من الأوس والخزرج وهو الأمر الذي مهد له سبيل الزعامة السياسية في مائة يثرب مستقبلاً . وان دعوته هذه لم تقابل في مدينة يثرب من قبل المشركين بالاستغراب والمعارضة

(١) ابن هشام: ابو عبد الله محمد: سيرة النبي: تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، د/ط دار الفكر، بيروت، د/ت، أ.ب.ع أجزاء ، ٢٢، ص ٤٣-٤٤

(٢) ابن هشام: ج ٢، ص ٥٠-٥١ .

(٣) أزرنا: يعني نساءنا ، والمرأة يكنى عنها بالأزار (انظر: ابن منظور: محمد بن مكرم: لسان العرب، د/ط، دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م) ج ٤، ص ١٦-١٨ .

(٣) ابن هشام: نفس المكان .

والأنكار بصورة مباشرة وعلمية كالذي قوبلت به في مكة من قبل رجال الملأ فيها (١).

وأما اليهود الذين كانوا حلفاء للاوس والخزرج فقد رأوا ان المصلحة تقتضي محالفة من يحالف حلفاءهم الى جانب انهم وجدوا ان دعوة الرسول (ص) الى التوحيد اقرب الى عقيدتهم من عقيدة المشركين الوثنية ، ولربما أدى نجاح الرسول (ص) في توحيد اهل المدينة حوله الى توفير الأمن والرخاء لمدينة يثرب التي مزقتها الخلافات وتدهور فيها الأمن وتردت فيها احوال الزراعة والتجارة . وبالتالي فأن مصالحهم الاقتصادية اقتضت انذاك الترحيب بالنبي الجديد .

ومن المعلوم ان مدينة يثرب كانت قد افتقدت الزعامة السياسية البارزة على المستوى الذي يؤهلها لمنافسة مكة التي احسنت الاستفادة من العقيدة الوثنية لنمو اقتصادها والتي نجح رجال الملأ في فرض النظام والأستقرار فيها كما ان غياب التنظيم الحكومي في ابسط صوره في مدينة يثرب فسح المجال للخلافات والمنازعات القبلية الشديدة فأخذ عقلاؤهم يتطلعون الى الوسائل التي تنقل مدينة يثرب الى حالة الهدوء والأستقرار (٢).

وعليه نجد ان هناك رغبة لدى جميع سكان مدينة يثرب من المؤمنين بالرسول (ص) والمشركون واليهود في ايجاد زعامة سياسية قوية تعمل على توحيد المدينة ورأب الصدع فيها وقد ذكر ابن هشام ذلك اذ قال : «وقالوا له : انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى ان

(١) العلي : صالح احمد : تنظيمات الرسول الادارية في المدينة (مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد السابع عشر ، بغداد ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩) ص ٥٠ .

(٢) الملاح : هاشم يحيى : المناقون في مدينة الرسول (مجلة كلية الدراسات الإسلامية بغداد ، العدد الخامس ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) ص ٤٧٢ .

يجمعهم الله بك، فستقدم عليهم فتدعوهم الى امرك ونعرض عليهم الذي اجبتك اليه من هذا الدين ، فأن يجمعهم الله عليه فلا رجل اعز منك» (١). ولما كان الرسول (ص) نبياً وقد ذاع صيته في الحجاز وعند اهل يثرب خاصة ولم يكن واحداً من سكان الحيين المتخاصمين (الأوس والخزرج) كان بين العوامل التي دفعتهم الى تسليم القيادة السياسية اليه .

ان ماتقدم لايمني ان وجود الرسول (ص) في مدينة يثرب كان مرغوباً به لدى جميع الأطراف ، فهذا عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين — لاحقاً — لم يكن راغباً بوجود النبي (ص) في مدينة يثرب وقصد ذكر ابن هشام : فلما زاره الرسول (ص) يوماً قال له « يا هذا ، انه لا أحسن من حديثك هذا : ان كان حقاً فأجلس في بيتك فمن جاءك له فحدثه اياه ، ومن لم يأتك فلا تغته به ولا تأتاه في مجلسه بما يكره منه » (٢). وكان يحس ان وجود الرسول (ص) في مدينة يثرب قد سلبه حقه في الملك (٣) .

وكانت الشاعرة البثرية عصماء بنت مروان تحرض اهل يثرب على الرسول (ص) وتعيب عليهم رئاسته لهم فكانت تقول :

فبشتت بني مسالك والبنيت وعسوف وبشتت بني الخزرج  
اطعتهم اتساوي من غيركم فلا من مرد ولا مذحج (٤)

وهذا أبو قيس بن الأسلف احد زعماء الأوس الذي حال بين قومه وبين الإسلام عن بني امية وخطمه ووائل وواقف (أوس الله) كان شاعرهم وقائدهم

(١) ابن هشام: ج٢، ص ٣٨ هكذا وردت يبدو ان الأصح «عليك»

(٢) ابن هشام: ج٢، ص ٢١٩ .

(٣) انظر المصدر نفسه، ج٢، ص ٢١٦ .

(٤) الواقدي: محمد بن عمر: المغازي: تحقيق: مارسدن جونس، د/ط، عالم الكتب ،

بيروت، ١٩٦٦م، ج١، ص ١٧٢ .

يسمعون منه ويطيعون فلم يزل بهم على ذلك حتى انقضت غزوة الأحزاب (١) نستنتج مما سبق عرضه بأن الرسول (ص) دخل مدينة يثرب كرسول قد آمن به جماعة من سكان مدينة يثرب من ذوي المكانة والنفوذ، وكرجل دولة ولم يدخلها هارباً من مكة طالباً من المؤمنين به الحماية له ولاتباعه وبناءً على طلبهم ، فكانت منزلته (ص) منزلة قائد مجموعة سياسية لها أهدافها العنصرية وكانت ترغب في تحميها ونشرها، وكان اتباعه تبعاً لذلك يتمتعون بنفس المنزلة التي كان عليها المؤمنون به من الأوس والخزرج لهم نفس المكانة والحقوق، وعليهم نفس الواجبات والالتزامات .

وبناء على المكانة التي كان يتمتع بها الرسول (ص) في مدينة يثرب وقوة مركزه فإنه استطاع ان يرسى فيها القواعد الأولى للدولة العربية الإسلامية فتنظيماته الإدارية كانت عظيمة الأهمية فقد قام ببناء المسجد ليكون مقسراً للامة الناشئة تقيم فيه شعائرها وتتداول فيه مختلف امورها، فكان بمثابة دار ندوة لهم. ففيه كان يتشاور الرسول (ص) مع اصحابه في شؤون الجماعة الإسلامية وعلاقاتهم بقريش وغيرها وما يتصل بذلك من سلم أو حرب (٢). وفيه كانت تعقد ألوية المسلمين عند خروجهم اما للاستطلاع أو لتحسيس بعض المهام العسكرية وفيه كان الرسول (ص) يستقبل وفود العرب القادمة الى المدينة لعقد حلف معه أو لأعلان اسلامها، والى جانب كل ذلك كان المسجد مركزاً علمياً وثقافياً .

واما المؤاخاة فقد هدف الرسول (ص) من خلالها الى وضع صيغة لتنظيم العلاقات بين المهاجرين والأنصار . وذلك لأن مجتمع يثرب لا يختلف عن

(١) راجع المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

(٢) سالم: عبد العزيز: تاريخ الدولة العربية ، ط ١ ، مؤسسة الثقافة الجامعية د/م ، د/ت ، ص

المجتمعات القبلية الأخرى فإن نظمهم الاجتماعية كانت نفس النظم السائدة فعلا بين القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، ونحن نعلم ان القبيلة تعد وحدة اجتماعية يقوم عليها النظام البدوي ، وينظر افراد القبيلة الواحدة الى انفسهم على انهم متحدرون من اصل واحد مشترك ونسب واحد وهو الجد الأعلى للقبيلة. لذا كانوا يعدون انفسهم متساوين نظرياً على الأقل في الحقوق والواجبات القبلية العامة (١). واما الأفراد الغرباء عن القبيلة والذين يعيشون في ظلها فهم في نظرهم في عداد الحلفاء، وهم بالتالي لا ينحدرون من الجد الأعلى للقبيلة ، وهؤلاء قد وضعوا انفسهم في حمايتها أو في حماية احد افرادها لفترة زمنية محدودة او بصورة دائمية .

ويظهر ان الرسول (ص) قد لمس منذ الأيام الأولى ، أو حتى قبل هجرته الى مدينة يثرب ماسياعيه هو واتباعه من المهاجرين من جراء سكناهم بين اخوانهم المجدد في الدين - الأنصار - في المدينة، اذ كان على معرفة عميقة بالظروف الاجتماعية والتقاليد القبلية المترسخة في نفوس العرب، والتي يصعب ازالتها في فترة زمنية قصيرة، فأصعب ماواجه الرسول (ص) واتباعه النظرة الاجتماعية لأهل المدينة الى اخوانهم في الدين من «المهاجرين» وعليه فلقد اراد الرسول (ص) أن يقيم عن طريق المؤاخاة حلفاً بين المهاجرين والأنصار على اساس الحق والمواساة حتى بلغت الى حد الوراثة وقد ذكر ابن سعد ذلك بقوله «فكانوا يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام» (٢) وقال عليه الصلاة والسلام «تأخخوا في الله أخوين أخوين» (٣). وبذلك يكون الرسول (ص) قد عمل على

(١) العلي : صالح احمد : محاضرات في تاريخ العرب ط ١، دار الكتب، الموصل ١٩٨١ م، ط ١، ص ١٥٣ .

(٢) ابن سعد : محمد : الطبقات الكبرى، د/ط ، دار صادر، بيروت، ٨٠ - ١٣٨٨ - ٦٠ - ١٩٦٨ م، ١، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٣) ابن هشام : ج ٢ ، ص ١٢٤

تقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب، وقد كان ذلك طبيعياً لأنه بهجرته الى مدينة يثرب كان قد قدم بحكم الإسلام رابطة العقيدة على رابطة النسب، وكذلك فعل اصحابه المهاجرون من قريش (رض) (١) .

وللمؤانسة بعد حربي الى جانب بعد يها الاقتصادي والاجتماعي. فلتد شرع الرسول (ص) بعد استقراره في المدينة في تهيئة اصحابه للدخول في حرب مع قريش من «قريش» فكيف يمكن ان يتم له ذلك لو استند الى رابطة النسب دون رابطة المتبلة. وكان لاضافة الاخوة الدينية الى الاخوة التبليسية بين المهاجرين والأنصار أن حققت نجاحاً ساحقاً وفر للرسول (ص) قوة ضاربة اعتمد عليها في تحقيق اهدافه وعليها توقفت وحدة المسلمين حيث اصبحت هذه القوة يحسب لها مشركو مكة وغيرهم حساباً كبيراً (٢) .

وأما الصحيفة التي تعد بحق من ابرز تنظيمات الرسول (ص) في وضع الاسس الاولى لشأة الدولة العربية الاسلامية في الحجاز ، والتي نظم على اساسها العلاقات بين سكان المدينة ، ووضع فيها التزامات جميع الاطراف داخل المدينة وحدد بموجبها الحقوق والواجبات المناطة بالافراد والجماعات والتي اورد نصها ابن هشام في كتاب «سيرة النبي» (٣) بدون سند ، وأوردها ابن سلام في كتابه «الاموال» بذكر السند الكامل لها (٤) وقد تفرد بذلك عن غيره من المؤرخين .

(١) انظر رأي : فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ترجمة : محمد عبدالهادي ابو ريده ٢٢ ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص ٦-٨ وانظر كذلك Gardet; Louis: op. cit, p. 22.23  
(٢) العلوي : هادي : في السياسة الاسلامية ، ط١ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٤ م ص ١٥  
Gardet; Louis: Loc. cit.

(٣) انظر ابن هشام : ج ٢ ، ص ١١٩-١٢٠

(٤) ابن سلام : ابو عبيد القاسم : الاموال : تحقيق : محمد حامد الفقي ، المكتبة التجارية القاهرة ، ١٣٥٣ هـ - ص ٢٠٢



ان فهم الصحيفة مهم جداً لفهم ابعاد الدور الذي كان يضطلع به الرسول (ص) في مدينة يثرب ولا سيما انه قد اعلن عنها في السنة الاولى للهجرة (١) ويقول البروفسور سارجنت ( Serjeant ) بأن البنود الثلاثين الاولى في الوثيقة (أ-ب) قد حددت العلاقة بين المهاجرين وسكان مدينة يثرب جميعاً (٢) . وأن الوثائق الاخرى في مجموعها قد نظمت العلاقة بين المسلمين واليهود الا ان اليهود (٣) على ما يبدو قد ادخلوا في الصحيفة بنسب النشرة الاولى (٤) من حيث ان العلاقة بين اليهود وبين الرسول (ص) في السنة الاولى للهجرة كانت جيدة ، وان الصحيفة قد ذكرت اليهود كقبيلة متحالفة وليس بأسمائها كما هو الحال مع القبائل الاخرى (٥) .

ومن الملاحظ على بنود الصحيفة انها حددت مركز الرسول (ص) باعتباره رئيساً أعلى للامة ، يمارس واجباته بحرية تامة وهذا مطلع الصحيفة «هذا كتاب من محمد النبي» (٦) مما يؤكد على انه يعلن بذلك عن دستور لتنظيم امور الامة ، وهي ليست باتفاقية تم عقدها بين اطراف عدة ، وكما هو معلوم لنا ان الدستور لا يضعه الا من كانت له سلطات قضائية وتنفيذية واسعة عند اتباعه او في المحيط الذي يعيش فيه ثم انه قرر بعد ذلك بأنه المرجع الاعلى في حل جميع المنازعات التي تقع داخل حدود مدينة يثرب «وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فسادة فإن مرده إلى الله عز

(١) ابن سلام : ص ٢٠٧

(٢) Serje ant; R . B . : The Constitution of Madina Islamic . J .Quarterty Vol (8).P.3.

(٣) serjeant; R.B. oP' cit.

(٤) انظر : المقرئزي : تقي الدين احمد : امتاع الاسماع بالرسول من الابناء والاموال والحفدة والمتاع : تصحيح : محمود محمد شاكر ، د/ط ، القاهرة ، ١٩٤١م ج١ ، ص ٤٩ ، ١٠٤ .

(٥) انظر : ابن هشام : ج٢ ، ص ١١٩-١٢٠

(٦) ابن هشام : ج٢ ، ص ١١٩

وجل وإلى محمد رسول الله (ص) « (١) . فهو بذلك يعلن عن نفسه حاكماً وقاضياً وقائداً لهم في الحرب والسلام .

نستخلص مما سبق عرضه ان ادارة الرسول (ص) في المدينة كانت تهدف إلى تكوين امة مترابطة فيما بينها فلأفراد فيها حرية العمل والتنظيم والسلطة المركزية حق الاهتمام بالعدالة والامن العام وامور الحرب والسلام ، على ان تكون العقيدة الاسلامية اساس اعمالهم وتصرفاتهم . فيكون الرسول (ص) قد وضع الاسس الاولى لبناء الدولة العربية الاسلامية في الحجاز التي كانت المدينة المنورة عاصمتها وقاعدتها والتي انطلق منها الصحابة الاوائل لتحرير البلاد ونشر الاسلام .

## قائمة المصادر والمراجع

- بن سعد : محمد : الطبقات الكبرى ، د / ط ، دار صادر ، بيروت ٨٠ -  
١٣٨٨ هـ ٦٠ - ١٩٦٨ م .
- ابن سلام : ابو عبيد القاسم : الاموال : تحقيق : محمد حامد النقي ، المكتبة  
التجارية ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .
- بن منظور : محمد بن مكرم : لسان العرب ، د / ط ، دار صادر ، بيروت  
١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- ابن هشام : ابو عبدالله محمد ، سيرة النبي : تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد  
د / ط ، دار الفكر ، بيروت ، د / ت .
- الواقدي : محمد بن عمر ، المغازي : تحقيق : مارسدن جو / ط ، عالم  
الكتب ، بيروت ، ١٩٦٦ .
- المقريزي : قتي الدين احمد : امتاع الاسماع بما للرسول من الابناء والاموال  
والخدمة ، والمتاع : تصحيح : محمود شاكر ، د / ط ، القاهرة ، ١٩٤١ م .
- الحديثي : الدكتور عبداللطيف : محاضرات في التاريخ العربي ، د / ط ،  
د / ت .
- فلهوزن : يوليوس : تاريخ الدولة العربية : ترجمة : محمد عبد الهادي :  
ابو ريده ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- سالم : عبدالعزيز : تاريخ الدولة العربية ، ط ، مؤسسة الثقافة الجامعية  
د / م ، د / ت .
- العسلي : الدكتور خالد صالح : نظم المؤاخاة في عهد الرسول (مجلة دراسات  
للأجيال ، جامعة بغداد ، العددان ٤ - ٥ ، ت ١ - ١٩٨٣) .

العلي : الدكتور صالح احمد : تنظيمات الرسول الادارية في المدينة (مجلة  
المجمع العلمي العراقي ) المجلد السابع عشر ، بغداد ١٣٨٨ هـ - ١٩١٩ م  
محاضرات في تاريخ العرب ، ط ١ ، دار الكتب ، الموصل ١٩٨١ م ،  
ط ١ .

العلوي : هادي : في السياسة الاسلامية ، ط ١ ، دار الطليعة ، بيروت ،  
١٩٧٤ م .

الملاح : أ-د. هاشم يحيى . نشأة دولة المدينة في يثرب (مجلة الجامعة) العدد  
(١١) السنة الثانية ، ١٩٧٢ . موصل .  
· المنافقون في مدينة الرسول (مجلة كلية الدراسات الاسلامية) بغداد ،  
العدد الخامس في ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .

Serjeant ; R.B. The constitution of Madina Islamic. S. Quarterny. 17  
Vol (.8).

G edet; Louis: Mohammed anism, Ner York, 1961.

Hell; J: The Arab Civili ation, Cambridgo, 1925.

